جامعة تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم علم الآثار **السنة الجامعة: 2024 – 2025**

المستوى : ماستر1 السداسي : الثاني التخصص: الآثار الإسلامية

عنوان المقياس: العمارة في المغرب الإسلامي

أستاذ المادة: أ.د بلحاج معروف

Email:archeomarouf@gmail.com

عنوان الدرس المساجد الزيانية والمرينية والحفصية

المساجد الزيانية والمرينية والحفصية

المساجد الزيانية

نبذة عن الدولة الزيانية: عين يغمراسن بن زيان واليا على تلمسان سنة 630هـ/ 1232م من قبل السلطان الموحدي الرشيد عبد الواحد بن إدريس المأمون، وفي سنة 633هـ/1235م أعلن يغمراسن استقلال دولته عن الدولة الموحدية وذلك بالتوقف عن الدعاء لهم في المنابر، وهكذا أعلن نفسه سلطانا على دولته الناشئة الدولة الزيانية أو العبد الوادية.

كان على الزيانيين الدفاع المتواصل على دولتهم وكامل أراضيهم طلية فترة حكمهم ضد جيرانهم الحفصيين ولاسيما المرينيين اللذين كانوا يدعون أحقيتهم في ميراث الدولة الموحدية.

ففي سنة 646هـ/ 1248م أرغم يغمراسن بن زيان على الاعتراف بالدولة الحفصية وسيادتهم على تلمسان التي استرجعها بفضل المعاهدة. قام المرينيون بمحاولات عديدة للسيطرة على العاصمة الزيانية واستولوا عليها في فترتين

- الفترة الأولى سنة 737– 748هـ
- الفترة الثانية754 – 758هـ
- انتهت الدولة الزيانية سنة 1554م بدخول العثمانيين إلى تلمسان.

جامع سيدي ابي الحسن أو مسجد سيدي بلحسن:

كان هذا الجامع في العصر الزياني قريبا جدا من القصر القديم الذي كان يمتد من الجامع الكبير شرقا إلى نهج ابن خميس غربا، وكان بابه المعروف بباب البنود مقابلا لهذا الجامع الفخم، يقع المسجد في الحافة الغربية من الساحة المركزية، وكذلك الأمر بالنسبة للجهة الجنوبية، وأما من الجهة الشمالية فيطل مباشرة على الساحة المركزية (ساحة الشهداء).

إن الشخصية التي يحمل اسمها هذا المسجد تتعلق حسب بروسلار بالعالم أبو الحسن بن يخلف التنسي الذي عاش خلال فترة حكم أبي سعيد عثمان.

قام بتشييد هذا الجامع السلطان الزياني أبو سعيد عثمان الابن الأكبر ليغمراسن سنة 696هـ/1296م، تذكارا لأخيه الأمير أبي عامر إبراهيم بن أبي يحي يغمراسن بن زيان،

وذلك ما تشير إليه الكتابة التذكارية; والوقفية المنقوشة على لوحة من المرمر الأخضر المثبتة في الجدار الغربي لبيت الصلاة، والمكتوبة بخط نسخي مغربي أنيق ونص اللوحة **"بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا وسلم تسليما// بني هذا المسجد للأمير أبي عامر إبراهيم ابن السلطان// أبي يحيى يغمراسن ابن زيان في سنة ستة وتسعين وستمائة//ورجا ثوابه الجسيم لا إله إلاّ هو الغفور الرحيم.."**

وهناك كتابة تذكارية أخرى في إطار المحراب نصها:**"بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما// بنى هذا المسجد الأمير أبو عامر إبراهيم بن السلطان أبي يحيى// يغمراسن بن زيان في سنة ست وتسعين وستمائة من بعد وفاته رحمه له"**،

حول هذا المسجد من قبل الإدارة الاستعمارية من وظيفته الدينية إلى مخزن للخمور ثم الى مخزن الأعلاف سنة 1842م، وفي سنة 1873م حول إلى مدرسة فرنسية عربية. وخربها بعد ذلك الحريق، وفيما بعد رممتها مصلحة العمارات المدنية وقد أدخلت عليها تعديلات عميقة.

وفي مطلع القرن العشرين صار متحفا إلى غاية 1991، حيث كان في حالة يرثى لها.

وقد شهد المسجد عملية ترميم أخرى سنة 2006، ثم كانت آخر عملية لترميم وتثمين المسجد سنة 2011 بمناسبة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية.

يعد المسجد من المساجد الصغيرة، وهو ذو مخطط مستطيل عمقه 10,20م وعرضه 9,70م، وتبلغ مساحته نحو 98,94م^2 وسمك جدرانه 0,70م.

يتألف بيت الصلاة من ثلاثة بلاطات عمودية على جدار القبلة يفصل بينهما بائكتين يحملهما صفان من الأعمدة التي تحمل عقودا على شكل حدوة الفرس وتعد البلاطة الوسطى أكبر اتساعا من البلاطتين الأخريين، حيث يبلغ عرضها 4م، في حين تبلغ الأخريين 2.20م.

يتألف بيت الصلاة من ثلاثة بلاطات عمودية على جدار القبلة يفصل بينهما بائكتين تحملهما صفان من الأعمدة التي تحمل عقودا على شكل حدوة الفرس، وتعد البلاطة

الوسطى أكبر اتساعا من البلاطتين الأخريين، حيث يبلغ عرضها 4م، في حين تبلغ الأخريين 2.20م.

المحراب عبارة عن تجويفة تتوسط جدار القبلة ذات مخطط خماسي الأضلاع، يبلغ عمقها 1,70م وعرضها 1,30م، ويكتنفها عمودان رخاميان نصف مدمجان في الجدار، تنتهي التجويفة بقبة صغيرة ذات مقرنصات.

يتكون هذا الجامع من عشرة أعمدة مصنوعة من الرخام، حيث نشاهد الاختلاف من عمود إلى آخر.

هناك عمودان رخاميان يكتنفان المحراب، يبلغ ارتفاعهما 1,90م و15سم في القطر.

أما الأعمدة الأخرى الموجودة في بيت الصلاة محيطها 0,66م وارتفاعها 1,15م، ولكل عمود قاعدة مربعة طول ضلعها 0,30م، ثم قاعدة أسطوانية في الأسفل والأعلى.

تعلو التيجان في جامع أبي الحسن أربع أعمدة فقط، تتمثل في عمودي المحراب والعمودين الملتصقين بجدار القبلة، ويتميز مسجد أبي الحسن التنسي بالعقود الحدوية المنكسرة، ويظهر ذلك في بوائك بيت الصلاة.

شيدت المئذنة في الركن الشرقي ويبلغ ارتفاعها 14,25م وطول ضلعها 3,50م، ومن هنا يتضح لنا أنّ ارتفاعها يتناسب ومساحة المسجد وتتكون هذه المئذنة

البدن: مبني من الآجر ذو مخطط مربع الشكل، حيث أنّ طول ضلع قاعدته يبلغ 3,50م، أما ارتفاع البدن فيصل إلى 11,55م، تم الصعود إلى الشرفة بواسطة سلم يتكون من 44 درجة يلتف حول نواة مركزية مربعة، يبلغ طول ضلعها 1,35م، وينتهي البدن بشرفة ذات سياج جدلري يبلغ ارتفاعه 1,29م وسمكه 0,40م، يتوج هذا السياج شرفات مسننة عددها ثمانية.

الجوسق مربع الشكل يبلغ ارتفاعه 4,70م، يتراوح طول أضلاعه بين 1,42م و1,45م، تحوي واجهاته الأربع على أربع فتحات، كسيت واجهات الجوسق بالزليج،.يعلو هذا الجوسق قبيبة يتوجها سفود يحمل تفاحتين عليها كتابة نصها: **" اليمن والإقبال// ياتقي يا أملي أنت الرجاء أنت الولي // فاختم عملي"**

لقد شغلت هذه الزخارف حيزا مهما في مسجد أبي الحسن، وتمتاز بكثافتها وتنوعها، حيث جمعها الفنان ونسقها بصورة مذهلة ونسيج متجانس. واستخدم في ذلك مادة الجص والرخام.

تتمثل الزخرفة النباتية في جامع أبي الحسن أساسا في السيقان والمراوح النخيلية، وفي بعض العناصر النباتية الأخرى المحورة عن الطبيعة مثل ورقة ذات فروع عريضة، وورقة على شكل علامة استفهام. S ، وورقة تتفرع من ساق واحدة، وتنقسم إلى فصين، وورقة طويلة تنتهي بورقة صغيرة تتكون من فرعين. والورقة الثلاثية الفصوص، إضافة إلى عناقيد العنب والزهيرات الصغيرة رباعية وثمانية الفصوص وكيزان الصنوبر.

نلاحظ أن بدن لمئذنة جامع أبي الحسن يحمل زخرفة في واجهاته الأربع، وتتكون من لوحة من شبكة من المعينات، تتخذ المعيناتفي جزئها العلوي بشكل عقد رخو وقاعدتها شكل عقد ذات ثلاثة رؤوس، يبلغ عددها داخل اللوحة 41 معينا.

أما جوسق المئذنة فهو مزخرف بعقد واحد ذي سبعة فصوص، داخل إطار مزخرف بالزليج، تتخذ هذه الزخرفة شكل مربعات لها أضلاع سوداء. تتصل ببعضها البعض بواسطة مربعات بيضاء استبدلت بشبكة المعينات بزخرفة من فسيفساء الخزف على شكل مربعات تتخذ اللون الأسود، الأبيض وتشمل كل أوجه الجوسق

تظهر الزخرفة الكتابية بجامع أبي الحسن من النوع المغربي الأندلسي، خاصة الآيات القرآنية والعبارات الدينية، نظمها الفنان الزياني في شكل أشرطة طويلة زينت بها واجهة المحراب.

جامع أولاد الإمام:

لا يحتوي الجامع على أيّة كتابة تشير إلى تاريخ بنائه، لكن اعتمادا على المصادر التاريخية فإنّ المبني تم تشييده في عهد السلطان الزياني أبي حمو موسى الأول 707 – 737 هـ كملحقة للمدرسة القديمة المعروفة في تاريخ تلمسان، وذلك لصالح الفقيهين الأخوين أولاد الإمام أبو زيد عبد الرحمن (ت سنة 1347) وأبو موسى عيسى (ت 1342) القادمين من برشك بالقرب من مدينة تنس.

تثبت بقايا الجدران والأرضيات والقبور التي ظهرت خلال عملية اقتلاع الأرضية بالحفر إلى عمق 70 سم في بيت الصلاة، وتقريبا إلى 1,20م في الصحن، أنّ الجامع ذو الحجم الصغير كان يتكوّن من بيت للصلاة وصحن

تصميم بيت الصلاة مستطيل الشكل (9م x 6.27م) ما يعطي مساحة قدرها 56.43م^2 وينقسم إلى ثلاثة بلاطات، حيث أنّ البلاطة الوسطى أكثر اتساعا من الجانبيتين، ويقوم

بتقسيم بيت الصلاة ست دعامات أربعة منها مدمجة بالجدران واثنين بالوسط وعمود غير مكتمل (لا يؤدي دورا معماريا) عند مدخل المئذنة، وكل الركائز تحمل عقود نصف دائرية

جامع سيدي إبراهيم المصمودي:

يدخل المسجد ضمن المجمعات المعمارية الدينية، إذ أنّه يضم مسجدا وضريحا ومدرسة (المدرسة اليعقوبية التي تم هدمها في العهد الاستعماري، حيث تزامنت مع هدم المدرسة التاشفينية، فكان ذلك عام 1870)، ولم يبق من المجمع المعماري سوى الضريح والجامع اللذين يتربعان على مساحة تصل إلى حوالي 2000 م^2.

يقول التنسي أن أبا حمو موسى الثاني كان محبا للعلم معظما لرجاله، موقرا لهم وكانت لهم في مفكرته أهمية كبيرة، فوفد على سلطانه العالم الشريف التلمساني فبنى له زاوية ومدرسة وجامعا سنة 763هـ- 1362م، وحمل الجامع فيما بعد اسم الولي الصالح، سيدي إبراهيم المصمودي بعد ثمانين سنة تقريبا من إنشائه.

يتألف الجامع من بيت للصلاة وصحن.

مخطط بيت الصلاة مستطيل الشكل (.20م x 15.40م) ويتألف من خمس بلاطات يقوم بتقسيمها دعامات ذات الشكل المربع والمتقاطع، ويصل عددها إلى 24 دعامة، وتحمل عقودا حدوية منكسرة.

محراب المسجد عبارة عن تجويفة يبلغ عمقها 1.16م وعرضها 1.64م، وارتفاعها 1.92م، تتوجه قبيبة مزخرفة تعتمد في انتقالها من مستوى لآخر على المقرنصات.

صحن الجامع مستطيل الشكل (10م x 11.20م) محاط بمجنبتين ومؤخرة.

تقع المئذنة في الركن الغربي، ويبلغ ارتفاعها 16.55 م وطول ضلعها عند القاعدة 4م.

للمسجد ثلاثة أبواب، اثنان متقابلان يؤديان إلى بيت الصلاة مباشرة، والآخر يقع في المؤخرة يفضي إلى الصحن.

جامع المشور:

بني الجامع سنة 1310، من طرف السلطان أبي حمو موسى الأول، داخل قلعة المشور، تغيرت بعض ملامحه في الفترة الاستعمارية، عندما حولته السلطات الفرنسية إلى كنيسة تابع للثكنة، حيث فقد جل تنميقه الزخرفي

بيت الصلاة: مستطيل الشكل (23.80مx15.60م)، يحتوي على ثلاث بلاطات، البلاطة الوسطى أكثر اتساعا وتتخللها ثماني دعامات مختلفة من حيث الشكل منها المستطيلة والمربعة والمتقاطعة التي تحمل بواسطة العقود النصف الدائرية المدببة، سقفا من الخشب ذي شكل جملوني من الخارج

المحراب عبارة عن تجويفة خماسية الأضلاع يتوجها عقد حدوي تعلوه قبيبة ذات المقرنصات.

الصحن مربع الشكل تقريبا (4.70x4.73م) يحيط به رواق من المجنبتين والمؤخرة

المئذنة: مربعة الشكل تقريبا (5.40 x5.00م)، ترتفع في الواجهة الشمالية الشرقية من المسجد يصل ارتفاعها إلى حوالي 25.22م

المساجد المرينية:

<u>نبذة عن المرينيين:</u> ينحدر المرينيون من فبيلة زناتة البربرية والتي استوطنت المناطق الشرقية على الحدود مع الصحراء. نزح هؤلاء إلى المغرب مطلع القرن 12م، واستقروا في المناطق الشرقية والجنوب شرقية. بعد صولات وجولات مع الموحدين، استطاع المرينيون في عهد الأخوين أبو يحي عبد الحق (1244–1258م) ثم أبو يوسف (1258–1286م) أن يستولوا على العديد من المدن، مكناس 1244 م، فاس1248م. مع حلول سنة 1269م، استطاعوا التخلص من آخر الموحدين في مراكش، وبدأوا بعدها في تنظيم جيش قوي حتى يمكنهم الاحتفاظ بالمناطق التي انتزعوها. خاضوا عدة حروب على أرض الأندلس في عهد أبو يعقوب يوسف (1286–1307م)، توسعوا إلى الجزائر (الاستيلاء على وهران ومدينة الجزائر) عرفت الدولة أوجها أثناء عهدي أبو الحسن علي (1331–1351 م) ثم ابو عنان فارس (1351–1358م) وازدهرت حركة العمران. استطاع الأخير صد سلاطين بني عبد

الواد والاستيلاء على عاصمتهم تلمسان، ثم واصل في غزواته حتى بلغ تونس واحتلها على حساب الحفصيين.

جامع سيدي أبي مدين:

يقع في العباد الفوقاني ضمن مجمع معماري يتكون من المدرسة والضريح والقصر والحمام وبيت الوكيل.

توجد قرية العباد الصغيرة على المنحدر الشمالي لجبل المفروش على بعد حوالي 2 كلم جنوب شرق تلمسان

قام بتشييد هذا الجامع السلطان المريني أبو الحسن، على سنة 739هـ/1339م وذلك استنادا إلى الكتابات التأسيسية والنصوص التاريخية الآتية:

كتابة على الزليج موجودة مباشرة فوق عقد المدخل التذكاري ونصها:" الحمد **لله وحده، أمر بتشييد هذا الجامع المبارك مولانا السلطان عبد الله علي بن مولانا السلطان أبي سعيد عثمان بن مولانا السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، أيده الله و نصره عام تسعة وثلاثين وسبعمائة نفعهم الله به"**

توجد كتابة أخرى فوق الزليج على شكل إفريز ضيق تنتهي به لوحتان من الزليج تكسوان الدعامتين الجداريتين لبوابة الجامع

المقطع الأيسر نصه" هذا **ما أمر بعمله مولانا// أمير المسلمين أبو الحسن بن مولانا// أمير المسمين "**

المقطع الأيمن نصه" ابتغاء **وجه الله العظيم// ورجا ثوابه الحسيمكتب الله به أنفع// الحسنات وأرفع الدرجات. "**

هناك كتابات أخرى داخل بيت الصلاة تشير إلى الآمر بالبناء في كل من اللوحة الوقفية من الرخام وتيجان المحراب.

مخطط الجامع مستطيل الشكل عمقه أكبر من عرضه (45.28× 17.40م)، يتكون الجامع من مدخل تذكاري مزين بزخارف متنوعة (نباتية، وهندسية وكتابية) ويعلو المدخل نصف قبة ترتكز على صفوف من المقرنصات.

يؤدي المدخل إلى صحن مستطيل الشكل (11,50 × 10,20 م2) يحيط به رواق من الجهات الثلاث، وترتفع المئذنة ذات القاعدة والبدن المربع في الركن الغربي بحوالي 27,50 م .

تأخذ بيت صلاة شكلا مستطيلا (18.90م عرضا و14.10م عمقا)، وينقسم إلى خمس بلاطات عمودية أعرضها البلاطة الوسطى، فتح في جانبيه الشرقي والغربي مدخلان الأول يؤدي إلى الحمام والثاني يؤدي إلى المدرسة، تقوم 16 دعامة ذات أشكال مختلفة بتقسيم بيت الصلاة، وتعلوها عقود حدوية، وبفصل الرواق القبلي عن بقية بيت الصلاة بائكة موازية لجدار القبلة

يؤدي المدخل إلى صحن مستطيل الشكل (11,50 × 10,20م2) يحيط به رواق من الجهات الثلاث، ويوجد إلى يمين الداخل باب يؤدي إلى قاعة كان يستقبل فيها الزوار وتحيط بالمئذنة، وعلى اليسار باب آخر يفضي بواسطة سلم نازل إلى الميضأة من جهة وأيضا إلى قاعة التدريس لكن دون سلم، يتوسط الصحن حوض مائي مستطيل الشكل.

المحراب عبارة عن تجويفة مضلعة تتوسط جدار القبلة، وجاءت سداسية الأضلاع يصل عمقها إلى 2.20م وعرضها 1.70م، يزين جزؤها العلوي الداخلي أعمدة جصية تحمل عقودا نصف دائرية، وتغطي الحنية قبة صغيرة مقرنصة، تشبه إلى حد ما قبة محراب مسجد سيدي أبي الحسن، يأخذ إفريز مثمن الشكل مكانه تحت القبة ويحمل زخارف كتابية بالخط النسخي تتخلله مجموعة من العقود النصف دائرية ذات زخارف نباتية (مراوح نخيلية).

الركائز عبارة عن مجموعة من الدعامات التي تحمل عقودا حدوية مدببة، ثمانية منها مستطيلة الشكل (90×70سم)، بالإضافة إلى ثماني دعامات على شكل حرف اللاتيني T، وباقي الدعامات ذات الشكل المتقاطع.

تحتل المئذنة الركن الغربي من الجامع، ويصل ارتفاعها الكلي إلى 27.50م، وهي كبقية مآذن الجوامع تتكون من جزئيين:

البدن: يصل ارتفاعه إلى23.70م، وهو مربع الشكل تزينه شبكة من الزخارف الهندسية ممثلة في شبكة المعينات وأيضا الزليج في الجزء العلوي من البدن الذي تتوجه الشرافات المسننة.

الجوسق: يرتفع فوق البدن بحوالي 5.40م، وتغطيه قبيبة نصف كروية يعلوها جامور ذو ثلاث تفافيح كبيرة ذهبية اللون، وهي تتفاوت من حيث الحجم من الأسفل نحو الأعلى ويعلوها هلال، وقد زين الجوسق بشبكة من المعينات والبلاطات الخزفية والقراطي (بعض القطع من الزليج).

الزخارف: لقد شغلت حيزا مهما وكبيرا من الجامع، فالزخارف الجصية تكسو مساحات معتبرة من جدران بيت الصلاة بما في ذلك المحراب والعقود لتمتد هذه الزخرفة نحو السقوف، كما زينت الزخارف الجصية المدخل التذكاري للجامع، وهنا امتزجت بالزخرفة الخزفية المتمثلة في الزليج.

إضافة إلى ما سبق فقد اعتنى معماري جامع سيدي أبي مدين بالمئذنة فكساها بحلة من الزخارف فوق الآجر واستخدم أيضا الزليج.

يعلو عقد المحراب صنجات مزينة بمراوح نخيلية بسيطة، ويحيط العقد إطار أول وضيق في مستوى منخفض مزين بشريط كتابي تتخلله مراوح نخيلية ويليه إطار عريض عبارة عن ثلاثة أشرطة تتخللها جامات صغيرة، وفي كوشتي عقد المحراب قوقعتان لولبيتان بارزتان تحيط بهما أغصان نباتية رقيقة ومراوح نخيلية بسيطة ومزدوجة.

ويأتي بعد الشريط الكتابي ثلا ث شمسيات تتخللها تزيينات مشكلة بالخصوص من كيزان الصنوبر ويحيط بالشمسيات شريط كتابي آخر بالخط النسخي فوق أرضية من المراوح النخيلية البسيطة وتنتهي واجهة المحراب بإفريز مزين بأشكال النجوم ذات ثمانية رؤوس، وتقوم عليه خمسة عقود صماء يزين سطحها زخارف نباتية.

يدور تحت قبة أمام المحراب وفوق العقود الحاملة لها شريط كتابي عريض بالخط الكوفي منقوش فوق أرضية من المراوح النخيلية تتخللها زهيرات.

تتشكل من لوحات مستطيلة تشكل أطرا للعقود، وهي امتداد للدعامات، وتتكون من الزهيرات المشكلة من تقابل مروحتين نخيليتين بسيطتين مزدوجتين، وأما زخرفة باطن العقود فتتكون من فتحة ناتجة من عقد زخرفي ذي فصوص دقيقة تزينها شبكة من المراوح البسيطة المزدوجة، لكن زخرفة الكوشات جاءت ذات تصاميم متنوعة تتوزع بشكل منتظم ومتناوب.

وللإشارة فإن تصاميم مخرفة العقود تختلف ولدينا أربعة تصاميم.

قام معماري جامع سيدي أبي مدين بتغطية سقف بيت الصلاة بسقف مسطح يرتكز على جدران مائلة من الأعلى نحو الأسفل، وكلها من مادة الجص، ونقش عليها عناصر زخرفية عبارة عن أطباق نجمية بثمانية رؤوس

تبدأ زخرفة الواجهتين الشمالية والشرقية بلوحة مربعة يتوسطها عقد يتألف من ثلاث ظفائر تتقاطع فيما بينها مشكلة عقدا مفصصا يتناوب كل فص نصف دائري مع فصين منكسرين ويحتضنه عقد ثان مشكل من معينات.

الواجهة الغربية مزينة بلوحة يتوسطها عقد مفصص مشكل من ظفيرتين متقاطعتين تشكلان فصوصا نصف دائرية تتناوب مع فصوص منكسرة، وطعم الفراغ الموجود بين الظفيرتين بقطع من الزليج الأخضر.

زينت الواجهة الشرقية بشبكة من المعينات تتخللها فتحتان واحدة في القسم السفلي والأخرى في القسم العلوي والمساحة المتبقية بين العقدين مزينة بصف من المعينات. وتغطي أيضا المعينات الواجهات الشمالية والجنوبية والغربية.

يزين نهاية البدن إفريز من الزليج يتألف من ثلاثة أطباق نجمية كاملة ونصفي طبقين نجميين في الطرفين، وهي ذات 24 رأسا، وزينت الشرافات أيضا بالزليج بها نجمة ثمانية الرؤوس.

الجوسق مكسو كليا بالزليج تتكون واجهاته الأربع من إطار بارز يحيط بمساحة مستطيلة وغائرة، والإطار مزين بأشكال هندسية عبارة أطباق نجمية ذات 12 رأسا، وأما المساحة الوسطى فمشكلة من شبكة من المعينات كتف ودرج من الآجر والأرضية من الزليج.

تنطلق الزخرفة في المدخل التذكاري من عقد البوابة الحدوي الذي يرتكز على دعامتين جداريتين، ويؤطر العقد إطار مكون من ثلاثة أشرطة من الآجر يعلوه إفريز خطي على الزليج، ثم يليه إفريز آخر مزين بزخارف هندسية من الآجر ذات أرضية من الزليج، ويتوج الواجهة ظلة مغطاة بقرميد تقوم على صف من الكوابل.

زخرفة فتحة العقد ذات تصميم يعتمد على المعينات المشكلة بواسطة مراوح نخيلية طويلة، وبداخلها مراوح ثنائية الفصوص وزهيرة ثلاثية الفصوص، واستعمل في هذا التصميم اللون الأبيض والبني والأسود والأخضر، يعلو العقد الحدوي عقد مفصص.

تصميم كوشتا العقد استعمل فيها اللون الأبيض كأرضية تتوزع عليها العناصر النباتية (فروع نباتية ومراوح مزدوجة والزهيرات).

الإفريز الخطي محصور بين شريطين عريضين من الزليج الأخضر تتوسطهما ظفيرة ذات اللون الأبيض والأسود، وأما النص فبالخط النسخي مكتوبا باللون الأسود على أرضية بيضاء، وتتخلل النص مراوح مزدوجة وزهيرات.

يعلو الشريط الكتابي إفريز عريض مزين بالأطباق النجمية ثمانية الرؤوس.

تنطلق الزخرفة هنا على ارتفاع 1.70م عن مستوى الأرضية، فالجدران الشرقية والغربية تكسوهما زخارف جصية فوق الباب المؤدي إلى الصحن، بينما زين عقد المدخل من الجهة الداخلية بزخارف من الزليج .

الزخرفة عبارة عن أشرطة كتابية ذات خط كوفي ونسخي تشكل نهاية حروفه مروحة مزدوجة كما تزينه زهيرات وفروع نباتية ومراوح نخيلية وأشكال الدوائر والمربعات والعقود الصماء التي تقوم على أعمدة رقيقة.

تنتهي هذه الزخرفة عند بداية الصف الأول من المقرنصات ثم يليه لإفريز كتابي بالخط النسخي، ثم صف آخر من المقرنصات أكبر من سابقتها جاءت على هيئة عقود صغيرة مزينة بمراوح بسيطة مزدوجة

جامع المنصورة:

أرسل أبو يعقوب يوسف بن عبد الحق المريني إلى أخيه يحيى الذي كان عاملا على وجدة طالبا منه السير نحو ندرومة وتاونت للاستيلاء عليهما، فتمّ له ذلك وضمّهما إلى أملاك المرينيين، وبناء على خبر الانتصار سار أبو يعقوب على رأس جيشه نحو المغرب الأوسط وفي طريقه انضم إليه أخوه يحيى، واتّجها سويا صوب العاصمة الزيانية تلمسان، وقبل وصولهما إليها علم عثمان بن يغمراسن بخبرهما فرجع مسرعا لنجدة مدينته، ووصل بنو مرين إلى ضواحي تلمسان في شعبان من سنة698 هـ/ ماي 1299م.

حطّ أبو يعقوب رحاله بمكان غرب مدينة تلمسان وطوّق المدينة من جميع الجهات ضاربا الحصار عليها، فشرع في بناء مدينة جديدة سماها المنصورة، وفي ناحيتها الغربية على مقربة من باب فاس بنا جامعا كبيرا.

يقع جامع المنصورة على ربوة صخرية ولا يبعد عن المدخل الغربي للمدينة سوى بضع مئات الأمتار.

من خلال الشريط الكتابي الموجود أعلى واجهة المدخل الرئيسي للجامع الواقع أسفل المئذنة يتضح أن بناء الجامع لم يكتمل أيام أبي يعقوب يوسف بن عبد الحق المريني، وذلك لورود كلمة المرحوم في نص الكتابة" **الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين أمر ببناء هذا الجامع المبارك أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين المقدس المرحوم "أبو يعقوب بن عبد الحق رحمه الله"**

وإضافة إلى الكتابة التذكارية فلدينا نصا صرحا أورده ابن مرزوق في كتابه المسند حيث يشير إلى السلطان أبي الحسن الذي رمم وأكمل بناء مدينة جده عندما حاصر تلمسان سنة 735هـ/ 1334م.

قد اسفرت الحفريات التي أجريت سنة 1859، بالإضافة إلى حفريات ألكسندر ليزين سنة 1964م على نتائج مهمة حيث مكنتنا من وضع تصميم للجامع.

يتكون الجامع من صحن مربع الشكل (30×30م) تحيط به الأروقة من الجوانب الثلاثة.

يتقدم الصحن بيت للصلاة يتكون من 13 بلاطة يقطعها في الأمام ثلاثة أساكيب، وقد تركت مساحة مربعة أمام المحراب (14×14م)، وقد اختلف علماء الآثار في السقف الذي يغطي هذه المساحة فجورج مارسيه يعتقد أن القبة أو سقف هرمي من الخشب كان يغطي هذا الفضاء الذي يمثل المقصورة، وأما رشيد بورويبة فيذهب إلى تغطيته بسقف هرمي بدلا من القبة بحجة أن وسائل التدعيم لا تسمح بحمل قبة كبيرة. مع العلم أن ابن مرزوق لم يشر بتاتا إلى وجود قبة في الجامع.

ينفتح الجامع نحو الخارج عبر 13 بابا يأتي في الدرجة الأولى المدخل الرئيسي الذي يقع أسفل المئذنة على غرار جامع ابن طولون بالقاهرة، أما الأبواب الأخرى فتتوزع على مختلف جهات الجامع اثنان على جانبي المحراب وثلاثة من كلتا الجهتين الشرقية والغربية واثنان يفضيان إلى الصحن واحد من كلا الجانبين. توجد بالجامع عدة فتحات كبيرة قصد التهوية والإضاءة

المئذنة مربعة الشكل طول ضلعها 10م وسمك جدرانها 1.50م وارتفاعها 38م، تعد أعلى مئذنة في الجزائر وثالثة في المغرب الإسلامي، واندثرت أجزاؤها الداخلية بما في ذلك السلم الصاعد. بنيت بالحجارة المنحوتة الوردية.

نواتها المركزية مفرغة استخدمت هذه التقنية من قبل الموحدين في مئذنة حسان بالرباط والكتبية بمراكش ولاخرالدة بإشبيلية.

يصعد إلى الأعلى عن طريق ممر صاعد يقع مدخله على يمين الداخل، يشير ابن مرزوق إلى صعوده رفقة أبي الحسن المريني إلى أعلى المئذنة راكبين.، يبدأ المنحدر بدرج وهذا لتفادي الالتقاء التقاء المنحدر بأعلى المدخل. المنحدر مغطى بأقبية نصف أسطوانية، وفي الأركان بأقبية متقاطعة، تشكل الغرف المتراكبة (4060×4.60م) بعضها فوق بعض النواة المركزية، وسمك جدرانها1.05م.

ترك لنا الفنان المغاربي تراثا زخرفيا خالدا يزين الواجهة الأمامية للمئذنة بزخارف متنوعة نباتية وهندسية وخطية رائعة الجمال تتخللها زخارف الزليج.

الجامع الكبير بفاس:

أسسه يعقوب بن عبد الحق المريني على مقربة من القصر الملكي، وقد أرخه بوريس ماسلوف في عصر أبي يوسف يعقوب سنة 674هـ/1275م، لكن جورج مارسيه أرجعه إلى سنة 675هـ/1275م ، لكن بعد فحص الوثائق أعاده عثمان عثمان إسماعيل إلى سنة 677هـ/1277م، ولنقل أنّ شيد فيما بين 674–677هـ/1275–1277مـ

الجامع ذو تصميم مستطيل الشكل (54×34م2)، يمتد بيت الصلاة هنا نحو العمق ويتألف من سبع بلاطات وأوسعها البلاطة الوسطى المستعرضة، وقد فصل رواق القبلة عن بين الصلاة بواسطة بائكة موازية لجدار القبلة، حيث يتقاطع مع بائكتي البلاطة الوسطى مشكلا فضاء مربعا أمام المحراب لغطيه قبة ذات عقود متقاطعة تشبه إلى حد كبير قبة جامع الكبير بتلمسان وجامع تازا. بالإضافة إلى قبة أمام المحراب هناك قبة أخرى مشابهة لها عند نهاية البلاطة الوسطى من ناحية الصحن.

الصحن ذو تصميم مستطيل الشكل (24م×18.60م) تحيط به المجنبتان اللتان جاءتا امتدادا لبيت الصلاة.

تحتل المئذنة ذات الطراز المربع موقعا في الركن الغربي، وبها أربع فتحات مستطيلة مرتبة رأسيا في الواجهة الشمالية.

وبالركن الجنوبي يوجد جامع الجنائز ملتصقا بنهاية واجهة جدار القبلة، وينقسم إلى قاعتين؛ إحداها مستطيلة تنفتح نحو رواق القبلة، والثانية مربعة الشكل تغطيها قبة، وفيها دفن السلطان أبو عنان فارس سنة 759هـ، والخطيب محمد بن الخطيب ابن مرزوق سنة 760هـ.

الجامع الحمراء بفاس:

جامع الحمراء، بناه السلطان أبو الحسن سنة 1331 م، يتواجد بفاس العليا قرب السوق غير بعيد عن روضة سيدي أبي شعيب، بباب البلاغمة، وضريح سيدي حسين طرطورة، ويشير بوريس ماسلوف إلى تلك الأسطورة التي تتحدث عن بناء الجامع حيث تقول أن الجامع أسسه السلطان الأحمر أحد السلاطين المرينيين (ق 7هـ)، وتروي أسطورة أخرى أن امرأة حمراء وفدت إلى فاس من تافيلالت في العهد المريني فبنت الجامع وهذا سبب تسميته بـ "لالة الجمراء"،

بينما يؤكد جورج مارسيه انطلاقا لتشابه هذا الجامع بجامع سيدي أبي مدين إلى حد كبير أنّ تشييد الجامع تم في عهد السلطان المريني أبي الحسن، كما يعتقد أن منفذ المشروع كان نفس المهندس الذي بنى جامع سيدي أبي مدين.

إن التشابه بين الجامعين يكمن في موقع المئذنة والصحن المربع واتجاه البوائك وعدد المداخل، ويختلفان في أسلوب التسقيف.

جامع سيدي الحلوي بتلمسان:

يقع جامع سيدي الحلوي خارج أسوار تلمسان، من جهة باب الزاوية الواقع في الجهة الشمالية الشرقية، التي كانت تسمى بالمنية.

شيد الجامع على حسب الكتابة الموجودة أعلى المدخل الرئيسي والمنفذة فوق الزليج سنة 754هـ/ 1354م ونص الكتابة: **" الحمد لله وخده أمر بتشييد هذا الجامع المبارك مولانا السلطان أبو عنان فارس ابن مولانا السلطان أبو الحسن علي ابن مولانا السلطان**

عثمان ابن مولانا أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق أيده الله ونصره عام أربه وخمسين وسبعمائة"

وتشبه هذه الكتابة إلى حد كبير الكتابة التذكارية في مدخل جامع سيدي أبي مدين، كما نجد كتابة أخرى تحمل اسم السلطان أبي عنان فارس مقونا بألقابه منقوشة في تاجي المحراب.

تعرض الجامع لعمليات ترميم منذ فترة الاحتلال الفرنسي، وهذا ما أشار إليه الأخوان مارسي (جورج ووليام)، حول مشروع ترميم الباب الرئيسي للجامع سنة 1899م من طرف المهندس المعماري M.Rattier (راتيي)

يشبه تصميم هذا الجامع إلى حد كبير تصميم جامع سيدي أبي مدين، فهو مستطيل الشكل (17.40×27.50م^2) يمتد نحو العمق، ويتكون من بيت للصلاة وصحن.

وبيت الصلاة ذو مخطط مستطيل الشكل (17.40×13.20م^2)، يتألف من خمس بلاطات أعرضها البلاطة الوسطى المستعرضة، ويفصل الصحن عن بيت الصلاة بائكة موازية لجدار القبلة، وعند تقاطعها مع البلاطة الوسطى تشكل فضاء مربعا مغطى بقبة.

الصحن ذو تصميم مربع الشكل تقريبا (10.50×10.10م2) يحيط به رواق واحد من ثلاث جهات.

تحتل المئذنة ذات الطراز المربع موقعا في الركن الغربي، ويبلغ طول ضلعها 25.17م تنطلق من قاعدة مربعة طول ضلعها 4.67م وتنقسم إلى قسمين البدن ارتفاعه 20.35م والجوسق ارتفاعه 5.32م.

المساجد الحفصية:

<u>نبذة عن الحفصيين:</u> هم سلالة بربرية حكمت في تونس، شرق الجزائر ما بين 1229–1574م. عاصمتها، ينتمي الحفصيون إلى قبيلة مصمودة البربرية، ومساكنها في جبال الأطلس .استمدت تسميتها من أبي حفص عمر (1174–1195م) أحد أجداد الأسرة ومن رجالات ابن تومرت الأوفياء. أصبح ابنه من بعده من عمال الموحدين على تونس. قام ابنه من بعده الأمير أبو زكريا يحي (1228–1249 م) بالاستيلاء على السلطة، وأعلن استقلاله واستطاع أن يؤسس دولة استخلفت الدولة الموحدية

في المنطقة. قضى ابنه المستنصر (1249–1277م) على الحملة الصليبية الثامنة (سنة 1270م)، ثم اتخذ لقب أمير المؤمنين .بعد وفاته تنازع أولاده على الحكم. وجرت حروب طاحنة بينهم.

في أواخر القرن 13م انشق عن الأسرة فرعين، حكم أحدهما في بجاية، والآخر في قسنطينة، وفي منتصف القرن 14م استولى المرينيون على البلاد. بعد جلاء المرينيين استعادت الدولة الحفصية حيوتها ونشاطها مع حكم كل من أبي العباس أحمد-1370) 1394م(، أبي فارس عبد العزيز (1394–1434م) ثم أبي عمر يحيى (1435–1488م) عرفت هذه الفترة الاستقرار وعم الأمن أرجاء الدولة. أصبحت العاصمة تونس مركزا تجاريا مهماً.

جامع القصبة بتونس:

يحمل هذا الجامع أدلة ساطعة عن ذوق الحكام الحفصيين والتقاليد الفية التي اتبعوها، كما يعد من الإنجازات العظيمة التي خلفتها الأسرة الحفصية.

انطلقت أشغال البناء في هذا الجامع سنة 629هـ/ 1231م، وأشرف عليه المهندس علي بن محمد بن قاسم، وانتهت في 7صفر 633هـ/ أكتوبر 1235م، لكن المنارة اكتملت قبل هذا التاريخ في رمضان من سنة 630هـ/ ماي 1233م، ويذكر التيجاني أن أعمدة وقطعا من الرخام جلبت من جامع قديم بمنزل باشو في جزيرة شريك الذي أصابه الخراب.

وتشير كتابة تذكارية أخرى بجانب المحراب إلى أعمال قام بها الحكام العثمانيون في الجامع سنة 992هـ/ 1584م ومنها المنبر الرخامي الذي عوض بلا شك منبرا خشبيا، كما تحول الجامع في هذا العهد لصالح المذهب الحنفي.

لم يتعرض الجامع لكثير من عمليات التعديل بل حافظ على أصالته لكونه جامعا سلطانيا، لكن أهم الأعمال التي شهدها الجامع كانت سنة 1962.

إن ما يشد انتباه الزائر للجامع عدم احترام التقاليد المعمارية لموقع الصحن الذي يحتل مكانا أمام جدار القبلة، ولا نعلم ما إذا كان في هذا الموقع منذ تأسيسه أم أنه تغير بعد ذلك.

بنيت تحت أرضية الجامع مواجل (صهاريج) ذات متانة شديدة مغطى بأقبية متقاطعة تحملها دعامات وأعمدة بدون تيجان تستقبل المياه التي تتجمع فوق السطوح عن طريق

الميازيب ، ويمتد منها نفق ذو انحدار خفيف بقامة الإنسان ينساب فيه الماء نحو الصحن حيث تةجد فتحة تسمح برفعه، توجد فتحة في بيت الصلاة تفضي مباشرة إلى الصهريج..

يتقدم الجامع رواق يحيط به من الجهة الشمالية والشرقية، حيث ينفتح من الجهة الشمالية بثمانية عقود ومن الجهة الشرقية بعشرة عقود، إن هذا الرواق المتقدم يعد من التقاليد المعمارية العثمانية، وعليه نعتقد أنه أضيف إلى الجامع خلال الفترة العمانية، يفضي من هذا الرواق إلى بيت الصلاة سبعة مداخل، ثلاثة في الجهة الشمالية وأربعة في الجهة الشرقية.

يوجد في الرواق الشمالي فتحة المحراب لم يعد لها أثر الآن، وكانت مغطاة بزخارف جصية بديعة الصنع.

ذات تصميم مستطيل الشكل يمتد نحو العمق، ويتألف من سبع بلاطات وتسعة أساكيب، استعملت الأقبية المتقاطعة في التغطية، ويحمل ثقل السقف أعمدة ذات تيجان حفصية بواسطة عقود حدوية مدببة يزيد في متانتها الروابط الخشبية، لكن الفضاء الموجود أمام المحراب غطي بقبة تكسو المحراب لوحات من الرخام، وتعلوه قبة صغيرة جميلة من المقرنصات الجصية، وتكتنفه أعمدة صغيرة تيجانها منحوتة ومذهبة. وعندما خصص الجامع لصالح لمذهب الحنفي، اختفى المنبر الخشبي وترك المجال لمنبر من الحجر ملبس بالرخام.

تقع المئذنة المبنية بالحجارة في الركن الشمالي للرواق الخارجي، وتتكون من قسمين على غرار المآذن المغربية البدن والجوسق، ويتم الصعود إلى أعلى المئذنة عن طريق سلم يلتف على نواة مركزية

توجد بقاعدة المئذنة كتابتان؛ الأولى في الواجهة الشرقية وتشير إلى اسم أبي زكرياء وتاريخ بناء المئذنة، والثانية أصغر منها حجما وتوجد تحت الكتابة الأولى إلى جهة اليمين. تشير إلى اسم المهندس.

ومن خصائص هذه المئذنة أنها أقيمت على قاعدة مربعة وأن قامتها ترتفع عن سطح الأرض في طول يساوي تقريبا أربعة أضعاف عرضها وقد أدخل هذا الشكل تجديدات في أكثر من عنصر من عناصر الهندسة المعمارية للمآذن التونسية فبينما كانت المآذن السابقة لهذه تظهر في أبسط ما يكون من المظاهر لا يلوح عليها زخرف يلفت النظر إذا بالمئذنة

الحفصية الأولى تجلب الأنظار بإلحاح من جراء ما تكتسي به من الزخارف الخارجية الزاخرة المتمثلة في ملء كامل لواجهاتها الأربع بمجموعة من التشبيكات المتكونة من معينات بارزة مرتبطة ببعضها عموديا وأفقيا وفي أسفلها عقود قائمة على أعمدة رخامية. ويبرز مجموع ما ذكر على أرضية من حجارة (الحرش) الرملية المرصفة ترصيفا فنيا محكما وأن التعاقب بين اللونين الأبيض والأصفر مع تفاعل الظل والنور كل ذلك يعطي واجهات الصومعة الصاعدة في السماء والضاربة عليها أشعة الشمس مظهرا خصيبا بالجمال والروعة. ويتوج أعلى البدن شرافات مسننة في صورة أكليل بديع التقاطيع.

تتمدد العقود المتعددة الفصوص المنجزة بقاعدة الصومعة إلى الأعلى بواسطة تشبيكات ذات لون أمغر تغطي واجهات الصومعة بسلسلة من المعينات. أما الجزء العلوي فينفتح بأقواس ثلاثية متجاوزة ومحاطة بإطار من التلبيس الخزفي.

الجوسق يحمله أربعة أعمدة رباعية ويعلوه غطاء هرمي الشكل وينتهي أيضا بشرافات مسننة ويتوج كل ذلك سفود يحمل أربعة تفافيح تنتهي بهلال.